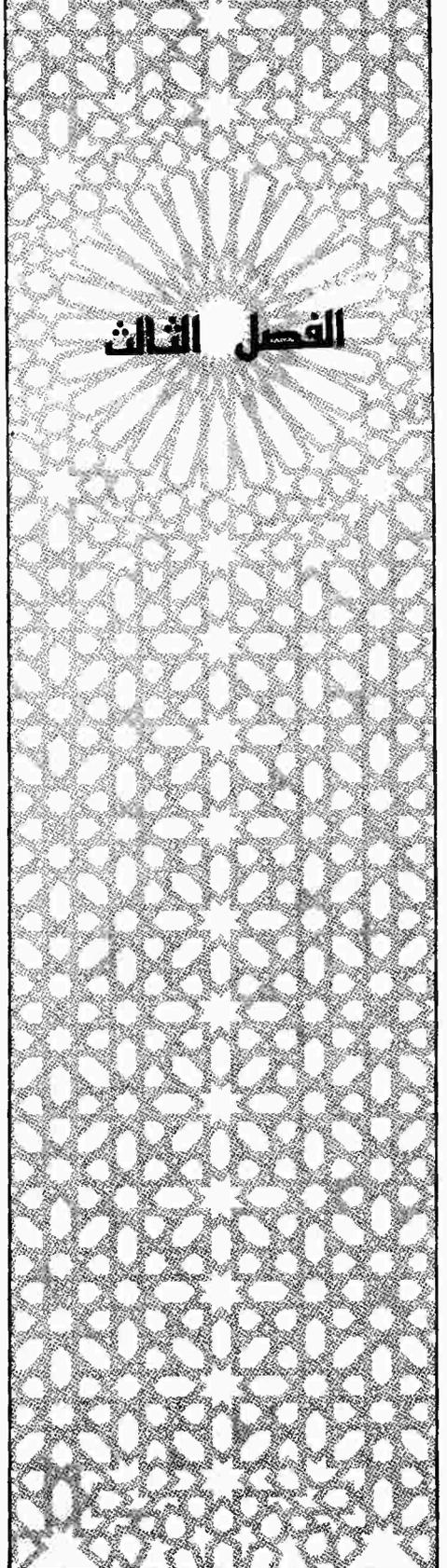


## الفصل الثالث

تحليل قصة النيام السبعة





### تحليل قصة النيام السبعة

ونبدأ تحليلنا للقصة ببيان الظروف والملابسات التي أحاطت بظهورها، فقد سبق أن ذكرنا أنها وردت أول ما وردت في عظات الأسقف السوري (جيمس الساروجي) الذي يقال إنه ولد عام ٤٥٢ ميلادية حسب ما ذكره (جيبون) من أنه ولد بعد موت ثيودوسيوس الأصغر بستين، ومات عام ٥١٨ وقيل عام ٥٢٠ ميلادية. أى أنه مات عن عمر يناهز الثامنة والستين. وليس معروفاً على وجه التحديد متى سمع (جيمس) بقصة النيام السبعة التي قيل إن أبطالها استيقظوا في عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثاني، أو الأصغر الذي مات عام ٤٥٠، والذي دام حكمه قرابة الاثنتين والأربعين عاماً حيث إنه ورثه عن أبيه عام ٤٠٨ ميلادية، فلو أننا استطعنا أن نحدد العام الذي استيقظ فيه الفتية، لأمكننا بالتالي أن نحدد كم كان (جيمس) من العمر عندما سمع بالقصة.

ولما كانت كل الروايات التي تناولت قصة «النيام السبعة» لم تذكر العام الذي استيقظ فيه الفتية، وإنما ذكرت أنهم استيقظوا في عهد ثيودوسيوس، فإننا سنضطر إلى تحديد هذا العام بالجوع إلى إضافة المدة التي قيل إنهم لبثوا نائمين في الكهف إلى التاريخ الذي قيل أيضاً إنهم دخلوا فيه الكهف، حيث سلب الله سبحانه وتعالى عليهم النوم، ولحسن الحظ فإن هذا الحدث قد وقع في عهد ملك يدعى (ديكيوس) لم تزد مدة حكمه للامبراطورية الرومانية على عامين فقط، من ٢٤٩ إلى ٢٥١ ميلادية، وبالتالي فإن افتراض أن نومهم حدث في العام الأول لحكمه أو في العام الثاني لن يؤدي إلى اختلاف كبير.

فإذا افترضنا أن الفتية قد دخلوا الكهف في العام الأول من حكم

(ديكيوس) على اعتبار أن هذا الرجل الراض المسيحية، والكاره لأهلها قد بادر على الفور إلى اضطهاد المسيحيين عقب توليه الحكم مباشرة، فعنى ذلك أن الفتية قد استيقظوا عام ٤٣٦ بحسب مذكره (جيبون) من أنهم لبثوا فى الكهف ١٨٧ عاماً، أو أنهم استيقظوا عام ٥٥٦ ميلادية بحسب مذكرته دائرة المعارف للأخلاق والديانات من أنهم لبثوا فى كهفهم ٣٠٧ أعوام. أو أنهم أستيقظوا عام ٣٩٦ أو ٣٩٨ ميلادية، بحسب مذكره ابن البطريق من أنهم لبثوا فى كهفهم ١٤٧ عاماً أو ١٤٩ عاماً. والملاحظ أن كلتا المذتين اللتين ذكرتهما دائرة المعارف للأخلاق والديانات، والتي ذكرها ابن البطريق تجعلان واقعة الاستيقاظ فى الكهف فى وقت لم يكن فيه (جيمس) موجوداً، إما لأنه كان قد مات أو لأنه لم يكن قد ولد بعد، وكذلك بالنسبة للإمبراطور ثيودوسيوس نفسه فإنه حسب مذكرته دائرة المعارف للأخلاق والديانات عن المدة التي لبثها الفتية فى الكهف تكون يقظتهم قد حدثت بعد وفاة ثيودوسيوس الذى مات عام ٤٥٠.

أما حسب رواية ابن البطريق فإنه لم يكن قد ولد بعد، على الرغم من أن كل الروايات المسيحية تجمع على أن اليقظة حدثت فى عهد ثيودوسيوس، بل وتصر على أنه قابل الفتية. وعليه فإننا سوف نطرح الروايتين جانباً ونعتمد رواية (جيبون) التي يفهم منها أن الفتية استيقظوا عام ٤٣٦ أى قبل أن يولد (جيمس الساروجى) بستة عشر عاماً، ومعنى هذا أن الرجل لم يكن حاضراً وقت استيقاظ الفتية وإنما سمع بقصتهم بعد ولادته، وربما يكون هذا قد حدث وهو فى الخامسة أو فى التاسعة، أو فى الخامسة عشرة أو بعد ذلك، وفى هذه الحالة يكون سماعه لها كحدوتة من هذه الحدوتات التي يشغف الأطفال بسماعها، والمعروف أن الحدوتات تتعرض للتبديل والتعديل أثناء انتقالها من بيئة إلى بيئة، ومن مجتمع إلى آخر، فيحذف منها ويضاف إليها وهكذا. غير أنه قيل إن (جيمس) هذا ألقى إحدى عظامه التي تضمنت قصة النيام السبعة حوالى سنة ٤٧٤ ميلادية، أى أنه كان وقتئذ قد بلغ الثانية والعشرين من عمره، وأصبح أسقفاً أى من رؤساء الكنيسة وعمدها. وقد ترجمت القصة من السريانية إلى اللاتينية قبل أن ينتهى القرن السادس الميلادى.

ونحن هنا نتساءل: لماذا اهتم (جيمس الساروجى) بقصة أو معجزة «النيام

السبعة»، وضمنها إحدى عظامه، وهو لم يحضرها ولم يعاينها، بل ولم يكن من بين الذين عاصروها، فى حين لم يرد لها ذكر فى تركه ثيودوسيوس من وثائق، بل إنه حسب ما ذكرته دائرة المعارف للأخلاق والديانات وكذلك ما ذكره سعيد بن البطريق كان هناك أسقف مسيحي فى أفسوس وقت استيقاظ الفتية وهو الذى أجرى التحقيق مع زميلهم الذى ذهب ليشتري له الطعام، ثم هو الذى سحب ثيودوسيوس عند ذهابه إلى الكهف لمقابلة الفتية، وهو كما نعتقد رجل أمين متحمس وغيور على عقيدته التى تقول: «بأن الإنسان يبعث بعد موته بالروح والجسد، وهو ما حدثت المعجزة لإثباته والقضاء على كل ما أثير من شك حوله، وقد كان من المعقول أن يتأثر هذا الأسقف بالمعجزة التى شاهدها وعاينها إلى الدرجة التى تدفعه إلى تضمينها فى عظامه، خاصة وأنه يشرف على كنيسة تقوم فى مدينة تشكك سكانها فى البعث، وأفرطوا فى التلذذ والاستمتاع بالدنيا، ومع ذلك فإن هذا الأسقف المجهول لم ينسب بنت شفة، وكان شيئاً هاماً وخطيراً بل معجزة لا عهد للقوم بمثلها قد حدثت!! ليس ذلك وحسب، بل إن أحداً من سكان أفسوس وهى مدينة كبيرة ومركز مسيحي عظيم تعقد فيها الاجتماعات التى تضم رؤساء الكنائس فى الشرق والغرب، ويوجد فيها الفلاسفة والحكام والمفكرون والمؤرخون — إن أحداً من هؤلاء جميعاً وغيرهم لم يهتم بالإشارة إلى ما حدث، وتركوا المعجزة بكل تفاصيلها حتى أتى (جيمس) ومن أين؟ من ساروج فى العراق لكى يتكلم عنها ويحىي ذكراها ويشيد بالفتية ويختلق لهم أساء وأسرأ ينتمون إليها، وينسب إليهم أحاديث، بل وأغانى وأشعاراً منها ما قالوه لأحدهم وهو المدعو (مليخا) حين دعوه للتوجه إلى المدينة ليأتيهم بطعام: (قم يا عيني واذهب إلى المدينة واشتر لنا خبزاً وطعاماً؛ فقد كان الطعام قليلاً وتناولناه فى عشائنا أمس). بل الأغرب من هذا أن القصة أو المعجزة التى حدثت فى مدينة رومانية وأبطالها من الروم، لم تكتب بالرومية بواسطة أحد من أهل هذه اللغة، وإنما كتبت بالسريانية التى يتكلم بها (جيمس) ثم ترجمت بعد هذا إلى اللاتينية قبل أن ينتهى القرن السادس الميلادى، منسوبة إلى هذا الرجل الذى لم يشاهد المعجزة، وإنما اعتمد فيما رواه عنها على سمعه فى مرحلة ما من مراحل حياته.

ولعلنا لاحظنا فى القصة التى وردت فى دائرة المعارف للأخلاق والديانات، أن هناك شابين يدعى أحدهما ثيودور والآخر روفينوس قاما عقب إغلاق الكهف

على الفتية بكتابة أسمائهم على لوح من المعدن (وليس من الحجر) ووضعه أو دفناه تحت الحجرة التي سد بها الكهف، فإذا صح هذا فأين هو هذا اللوح الذى قيل إن الناس عشروا عليه ساعة الالتقاء بالفتية فى كهفهم؟ ولماذا لم يكتب هذان الشابان النجيبان أسماء غير هؤلاء الفتية ممن صب عليهم (ديكيوس) جام غضبه، وأنزل بهم عذابه وطاردهم وقتلهم، أم لعل هذين الشابين كانا مطلعين على الغيب، يعلمان أن الفتية لن يموتوا داخل الكهف المغلق وأنهم سوف يبعثون، فلا بد من وجود دليل على أنهم هم الفتية الذين دفنهم (ديكيوس) أحياء. أما سعيد بن البطريق فإنه على ما يبدو لم يقتنع بهذه الفكرة فقال: إن الذى أثبت للناس وللملك ثيودوس أن الفتية هم الذين هربوا إلى الكهف فى عهد (ديكيوس) هو (الصندوق النحاس الذى فيه صحيفة الرصاص المكتوب فيها قصتهم وخبرهم) فهم إذن كانوا يحتفظون بالصحيفة فى صندوق معهم فى الكهف كتبوا فيها قصتهم وخبرهم، ولاندرى أى قصة وأى خبر، هل يقصد بالقصة أنهم آمنوا بعقيدة التثليث التى تقول: إن (يسوع) ابن الله وشريكه فى ملكه، وإن أمه إلهة، وأنهم فروا من ملك مشرك يعبد آلهة متعددة، وماذا فى ذلك وقد كان كثيرون غيرهم على ملتهم، ومنهم من عذب واضطهد وقتل، ومع ذلك لم تكتب قصته فى صحيفة لامن رصاص ولا من نحاس، وبماذا تفيد مثل هذه الصحيفة، اللهم إلا إذا كان الفتية قد اطلعوا على الغيب، وأرادوا أن يعدوا العدة لإثبات حقيقتهم عندما يبعثون أحياء!! وعلى فرض حدوث هذا فأين هى هذه الصحيفة؟ ولماذا لم تحتفظ بها الكنيسة طالما أنه قد عثر عليها فى الكهف؟

ومع ذلك فسوف نفترض جدلاً أن أسماء الفتية وكذلك قصتهم قد كتبت على لوح من المعدن، أو فى صحيفة من الرصاص كما زعم ابن البطريق، وأنه قد عثر على هذه الصحيفة يوم بعث الفتية فى الكهف، ومنها عرف الناس أسماءهم، وصدقوا قصتهم، وفى هذه الحالة يواجهنا فرضان لاثالث لهما، الأول: أن تكون القصة ليست مطابقة لما ذكره «جيمس الساروجى» وأن من شأن إفشائها أن تتضح الحقيقة التى لا تلائم آراء الكنيسة فى المسيح ومذهبها فى عبادته باعتباره ابن الله، ولذلك بادرت إلى إخفائها مفضلة أن يحيط الشك بالقصة كلها على أن يظهر أن الفتية لم يكونوا على عقيدة التثليث. والثانى: أن تكون الصحيفة قد

ضاعت أو فقدت لسبب أو لآخر، على الرغم من أن هناك من الآثار المقدسة ما يقل في الأهمية كثيراً عن هذه الصحيفة، ومع ذلك تحتفظ بها الكنيسة وتحرص على حمايتها من الضياع أو التلف، ثم هل يعقل أن تهمل صحيفة كهذه مصنوعة من النحاس أو من الرصاص في حين تحتفظ الكنيسة بآثار هي بطبيعتها من مادة هشة قابلة للتلف والبلى مثل الصليب (المقدس) الذي صلب عليه المسيح، والذي يقال إنه قد تم العثور عليه في فلسطين.

كذلك فإنه من المعروف أن (جيمس الساروجي) عندما روى القصة في إحدى عظاته لم يكن قد مرّ على المعجزة غير ثمانية وثلاثين عاماً فقط، أو على حد قول (جيبون) خمسين عاماً. فلماذا لم يقم بالبحث عن الصحيفة المذكورة ليبرهن على صحة القصة. والمعروف أن استيقاظ الفتية كان في عهد ملك صالح وكنيسة قوية، تهتم بجمع الآثار المقدسة، ولاشك أن صحيفة كهذه لها من القداسة والأهمية ما يبرر الاحتفاظ بها والحرص عليها؛ لأنها تتضمن بيانات خاصة بسبعة من الفتية الذين لانظن أنهم يقلون في القداسة والصلاح والورع عن كثيرين من آباء الكنيسة الذين وصفوا بالقدسين، وتحتفظ الكنائس بآثارهم ومخلفاتهم، ولكن جيمس الصالح الغيور على عقيدته التثليثية لم يفكر في هذا الأمر؛ ربما لأنه لم يقدر أهميته البالغة فاكتفى بأن يعظ الناس ضارباً المثل بالفتية، ثقة منه بأن كلامه المجرد من أى دليل كاف جداً لإقناعهم بصحة مايقول، على الرغم من أنه لم يكن قد مضى على الفترة التي ساد فيها لدى الناس الشك في البعث وقتاً طويلاً يصح معه القول بأن هذا الشك حل محله إيمان راسخ بالبعث، يكفي للتدليل عليه رواية يرويها أسقف متحمس.

والشير للدهشة حقاً ما حدث عند البحث في أحد الكهوف الموجودة في (خربة قران) حيث عثر على اللقائف الخاصة بطائفة الآسينيين، التي رجحنا في هذه الدراسة أن يكون فتية الكهف بعض أعضائها، فقد وجد من بين ما تركته هذه الطائفة لفيفة نحاسية تبين من فحصها أنهم تضم قائمة بمحتويات كنز مدفون، ويقول (آليجرو) إنه الكنز الذي ظل مدفوناً لمدة طويلة، والخاص بالحرم المقدس لأورشليم (القدس) الذي دمره (تيطس) عام ٧٠ بعد الميلاد. ويقول آليجرو إنه قبل أن يفرض تيطس الحصار على أورشليم قام يهود المدينة بحمل هذه الثروة الكبيرة بعيداً إلى أماكن سبق أن حدودها في داخل المدينة وما حولها، وفي

الصحراء التي تقع في الشمال الشرقي وفي الشرق، وكان من بين أسماء الأماكن التي ذكرت مرات كثيرة (سيكاكا) التي كانت قد ذكرت مرة في العهد القديم باعتبارها إحدى المدن البرية، ويعتقد آيجرو أنه يمكن أن نطابق، ونحن مطمئنون بين هذه المدينة وبين خربة قران وطن الطائفة الآسينية أو طائفة قران، فإذا كانت هذه الليفة النحاسية قد بقيت في الكهف الموجود في خربة قران كل تلك المدة، والتي تصل إلى ألف وتسعمائة سنة إلى أن عثر عليها في ١٤ مارس سنة ١٩٥٢، أفلم يكن من الأولى أن تعثر الكنيسة الكاثوليكية على اللوح المعدني الذي قيل إن أسماء الفتية كانت قد كتبت عليه، خاصة وأنه لم يكن قد مضى على بعثهم في الكهف غير وقت قصير لا يسمح بضياح اللوح المزعوم!

هذا عن الأسقف (جيمس الساروجي) وما ذكر منسوباً إليه، أما عن قصة النيام السبعة نفسها فإنها مثلها مثل غيرها من القصص، تتكون من أربعة عناصر هي: الأشخاص، والزمان، والمكان، والحادثة أو الحوادث التي تربط العناصر الثلاثة. وقد يضيف البعض عنصراً خامساً وهو مغزى القصة أو الهدف منها، وإن كنا نعتقد أن هذا العنصر مفترض، إذ أنه لا يتصور أن تكون هناك قصة بلا مغزى، أو بدون هدف أو غاية، والقصة التي ذكرت منسوبة إلى (جيمس الساروجي) عن النيام السبعة تستوفي هذه العناصر جميعاً على النحو التالي:

### أولاً: الأشخاص:

وعددهم سبعة وهو ما تبين من اسم القصة ذاتها (النيام السبعة) وإن كان بعض العلماء الذين اهتموا بالموضوع باعتباره أسطورة اختلفوا حول عدد الفتية، فمنهم من يقول إنهم خمسة، ومنهم من يقول إنهم ثلاثة عشر. كذلك كان الحال بالنسبة للمفسرين، فقد اختلفوا حول عدد الفتية فمنهم من قال إنهم ثلاثة، ومنهم من قال إنهم خمسة أو تسعة أو أحد عشر، وهذا أمر طبيعي: لأن الواقعة لم تكن محل معاينة عدد كبير من الناس، أما أسماء الفتية فيونانية: لأن أفسوس كانت تابعة لليونان، التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، وإن كانت أطلال أفسوس القريبة من مدينة أزمير تتبع تركيا الآن ولا يسكنها أحد من اليونانيين. وقد وردت أسماء الفتية في الروايات المسيحية ونقلها المفسرون المسلمون عن هذه الروايات وضمونها كتبهم. وهذه الأسماء هي: مكسملينا، يليخا، ديمودس

(ديموس)، امبليكوس، مرطونس، بيرونس وكشطلونس. وتتضمن كتب التفسير الإسلامية أسماء أخرى مثل محسيميلينا ويطونس وقالوش، وبعضها تحريف للأسماء الأصلية الواردة في الروايات المسيحية، والبعض الآخر تقسيم للأسماء الثنائية مما جعل العدد يزيد على سبعة فيرتفع إلى ثمانية تارة وإلى تسعة تارة أخرى، مثال ذلك أن ابن البطريق ذكر اسم يطونش قالوش على أنه اسم واحد، فيكون عددهم بإضافة هذا الاسم ثمانية، في حين أن هذا الاسم يرد في مخطوطة الأزهر كاسمين وليس كاسم واحد حيث تسبق الواو اسم قالوش، ومن ثم يصبح عددهم تسعة. ولكننا سنعتمد على ما ذكرته المصادر المسيحية من أن عددهم كان سبعة، وليس ثمانية أو تسعة، ويحتمل أن الاسمين الآخرين من نوع الأسماء المركبة التي يشيع استخدامها في الغرب مثل جون بول وغيرها.

وفيا يتعلق بالوضع الاجتماعى للفتية فقد ذكرت بعض الروايات أنهم كانوا من الأمراء، أو من علية القوم، فهم في رواية دائرة المعارف للأخلاق والديانات يقيمون في قصر الملك، فهم على الأقل من الموظفين الذين يعملون في خدمة الحاكم، وينتمون إلى أسر معروفة، لأن الملك اهتم باستدعاء آبائهم لسؤالهم عنهم، وهو ما لم يكن يحدث بالنسبة لعامة الناس.

أما ديانة الفتية، فإن الروايات المسيحية على اختلافها تقول إنهم كانوا مسيحيين يرفضون عبادة الأديان التي فرضها (ديكيوس) على رعايا الدولة الرومانية، وهناك من قال إنهم رفضوا عبادة الامبراطور ذاته استناداً إلى أنه كان قد أصدر أمراً بأن يقدم الناس القرايين لتمثاله باعتباره إلهاً. وهذا إن صح بالنسبة لغير (ديكيوس) فإنه لا يصح بالنسبة له، وهو ما سوف نتناوله بالبيان عند دراستنا للظروف التي دخل الفتية الكهف فيها.

## ثانياً: الزمان:

ليس معروفاً على وجه التحديد متى أوى الفتية إلى الكهف، فقد قيل إن ذلك كان في عهد الإمبراطور ديكيوس أو ديسيوس الذي حكم بين عامي ٢٤٩ و٢٥١ ميلادية، والذي عرف عنه أنه أمر بأول اضطهاد عام للمسيحيين عقب توليه الحكم. وقد أعدهم القوط في واليا عام ٢٥١ ميلادية.

كذلك ليس معروفاً على وجه التحديد السنة التي استيقظ فيها الفتية داخل الكهف، وإن كان قد قيل إنهم استيقظوا في عهد ثيودوروس الأصغر أو الثاني الذي يمتد حكمه بين عامي ٤٠٨ و ٤٥٠ ميلادية إلا أنه بناء على ما ذكره المؤرخ «إدوار جييون» من أن النيام السبعة لبثوا في الكهف مدة بلغت ١٨٧ عاماً، فإننا لو افترضنا أنهم لجئوا إلى الكهف في أول عام من حكم ديكوروس أى ٢٤٩ ميلادية، فمعنى هذا أن يقظتهم كانت في عام ٤٣٦ ميلادية. ومع ذلك فإن هناك رواية تقول إن يقظتهم كانت في العام الثامن والثلاثين من حكم الإمبراطور ثيودوروس أى سنة ٤٤٥ أو ٤٤٦ ميلادية تقريباً، وهذا يعنى أنهم لبثوا نائمين في الكهف مائة وستة وتسعين عاماً، وهكذا يتضح أنه ليس هناك خلاف بين غالبية المؤرخين المسيحيين حول العهد الذى لجأ فيه الفتية إلى الكهف، ولا العهد الذى استيقظوا فيه فهم يجمعون على أن الأول كان عهد ديكوروس أو ديسوروس، أما الثانى فعهد ثيودوروس الأصغر أو الثانى، أما الخلاف بشأن المدة التى لبثوها فى الكهف فيرجع إلى طول المدة التى حكم فيها ثيودوروس الإمبراطورية الرومانية، والتى بلغت ٤٢ عاماً، حدثت اليقظة أثناءها، ولكن متى على سبيل التحديد؟ فهذا ما لم يتفق عليه المؤرخون المسيحيون، فبينما يقول سعيد بن البطريق إن الفتية استيقظوا فى السنة الثامنة من حكم ثيودوروس أى سنة ٤١٦، ومعنى هذا أنهم قد لبثوا فى الكهف ما بين ١٦٥ سنة و ١٦٧ سنة، إذا اعتبرنا أنهم أوا إليه فى أول عهد ديكوروس ٢٤٩. ومع ذلك فإن ابن البطريق يقول إن مدة لبثهم كانت مائة وسبعاً أو تسعاً وأربعين سنة، وهذا يعنى أنهم إما أن يكونوا قد أوا إلى الكهف بعد موت ديكوروس (٢٥١) أو قبل تولى ثيودوروس الملك (٤٠٨) أما (جييون) فيقول: إن استيقاظ الفتية كان قرب نهاية حكم ثيودوروس (مات سنة ٤٥٠).

ويقول (أسمانى): إن استيقاظ أهل الكهف كان سنة ٧٣٦ رومية، أى ٤٢٥ ميلادية أو ٧٤٨ رومية أى ٤٣٧ ميلادية من تاريخ سلوقس. أما المؤرخ اليونانى فوتوريوس فإنه يقول: إنهم استيقظوا سنة ٨٣٠ من حكم ثيودوروس أى سنة ٤٣٩ ميلادية.

ويقول الأستاذ رفيق وفا الدجاني (١) مكتشف الكهف: إن البينة الأثرية

(١) اكتشاف كهف أهل الكهف، صفحة ٣٠.

التي عثر عليها في مدافن كهف الرجيب توافق سنة ٤٢٥ ميلادية، فلو أننا افترضنا صحة هذا الكلام لكان معنى ذلك أن الفتية لبثوا في الكهف ١٨٨ سنة وليس ١٨٧ سنة كما قال جييون، الذي وفقاً لما قاله يكون الفتية قد لجئوا إلى الكهف بعد موت ديكويوس (٢٥١). إلا إذا كان مقاله مكتشف الكهف هو الذي يفتقر إلى الدقة، أما طبقاً لما قاله (أسمانى) من أن الفتية استيقظوا سنة ٤٢٥ ميلادية، فإنهم يكونون قد لبثوا في الكهف ١٧٤ سنة.

وهكذا يظهر الخلاف بين المؤرخين المسيحيين حول المدة التي لبثها الفتية في الكهف، على الرغم من أهمية هذا البيان، مع ملاحظة ما ادعاه «جيمس الساروجى» من قرب العهد بمجاذة الكهف وما زعمه من أنها وقعت في (أفسوس) تلك المدينة التي كانت أكبر المدن في الدولة الرومانية الشرقية والتي لا يتصور مجال من الأحوال أن يصعب على علمائها وكهنتها أن يحددوا المدة التي لبثها الفتية في الكهف، خاصة وأنه كان هناك لوح من النحاس نقش عليه أسماؤهم، كما يزعمون، والتاريخ الذي أووا فيه إلى الكهف. فأين ذهب هذا اللوح أو (الرقيم) كما يسميه المفسرون المسلمون الذين نقلوا عن الأسطورة المسيحية بدون إعمال نظر أو تدبر. أم أن التاريخ الذي كان قد نقش على اللوح محاه الزمن والعوامل الجوية فلم يبق إلا أسماء الفتية فقط لاتخاذها دليلاً على أنهم كانوا يونانيين.

إن هذا الاختلاف بين المؤرخين المسيحيين إن كان يدل على شيء فإنما يدل على أن القصة التي قيل إن الأسقف (جيمس الساروجى) كان قد ضمنها عظامه الكثيرة هي في الحقيقة قصة مزورة، وأنها لم تحدث حيث ادعى أنها حدثت، أى في (أفسوس) ولا كان حدوثها في الفترة الزمنية التي زعم أنها حدثت فيها، كما أن أبطالها لم يكونوا مكسميلينا ولا تمليخا ولا غيرها ممن ذكر أنهم هم الذين أووا إلى الكهف.

### ثالثاً: المكان:

جاء في قصة النيام السبعة أن الفتية كانوا من سكان (أفسس) أو (أفسوس) التي كانت أكبر وأشهر ميناء للرومان على الساحل الغربى لآسيا

الصغرى، والتي توجد آثارها على مسافة عشرين أو خمسة وعشرين ميلاً جنوب مدينة أزمير الآن في تركيا، وأن الكهف الذى أوى إليه الفتية يقع قريباً من هذه المدينة، وهو ما تكاد تجمع عليه المصادر الغربية، تتفق معها فى هذه القصة المصادر الإسلامية أيضاً مثل الطبرى وابن كثير وغيرهما. إلا أن المستشرق الألماني فنسك Wensinck يقول فى دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة أصحاب الكهف: «على أن العرب يعرفون مدينتين بهذا الاسم: إحداهما المدينة المعروفة والأخرى مدينة عربسوس القديمة فى تركيا. وكانت تسمى أيضاً (أبسوس) وتسمى اليوم بربوز، فهل كانت مدينة (أبسوس) هذه هى المسرح الذى وقعت فيه تلك الأحداث التى أوحى بها الخيال؟ أما دى جويه فيؤيد هذا الرأى معتمداً على براهين استمدها من الكتب التى تقول بذلك.

وفى الحق أن بعض الرحالة قالوا إنهم رأوا فى مدينة أبسوس هذه كهفاً به جثث ثلاثة عشر رجلاً قد تيبست وهو ما ذكره ياقوت فى المعجم عن (أبسس) وإن لم يذكر شيئاً عن الجثث، فهو يقول عن تلك المدينة «اسم لمدينة خراب قرب (ابلستين) من نواحي الروم يقال: منها أصحاب الكهف والرقيم، وقيل هى مدينة دقيانوس، وفيها آثار عجيبة مع خرابها» (٢). ومع ذلك فإنه فى تعريفه بـ(أفسوس) قال إنها بلد بثغور طرسوس، يقال: إنه بلد أصحاب الكهف. ولاندرى من أين جاء دى جويه بهذا الكلام الذى نسبه إلى ياقوت الحموى؟ ويضيف (فنسك) إلى ذلك قوله: وفوق هذا فقد تضمنت مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة ما ينص صراحة على أن عربسوس هى مدينة أصحاب الكهف والرقيم، وربما كان اكتشاف الجثث الثلاث عشرة هو الأصل الأول لقصة أهل الكهف، ثم حرف الناس (أبسوس) فيما بعد إلى (أفسوس). وهذا الذى قاله (فنسك) استنتاج غير صحيح لا يوجد ما يؤيده بالمرّة، وفضلاً عما قيل من أن الكهف يوجد فى (أبسوس) أو فى (أفسوس) فقد ظهر من يدعى أن الكهف يوجد فى اسكندنافيا، حيث زعم أنه قد وجدت فى كهف هناك سبع جثث، وصاحب هذا القول شماس فى مدينة أفوليا وضع كتاباً باللاتينية.

(٢) معجم البلدان، الجزء الأول، صفحة ٧٣.

## رابعاً: الحوادث:

تتضمن قصة النيام السبعة حدثين رئيسيين: الأول لجوء الفتية إلى كهف يختبئون فيه من ملك وثنى أراد أن يكرههم على ترك المسيحية إلى عبادة الأوثان الرومانية. ونومهم فى هذا الكهف مدة بلغت قرنين إلا قليلاً بعد أن أغلق عليهم الطاغية باب الكهف بالأحجار الضخمة تخلصاً منهم .

الحدث الثانى: استيقاظهم من نومهم فى عهد ملك مؤمن بالمسيحية، بعد أن قام بعض العبيد برفع الأحجار عن باب الكهف إما دفعة واحدة كما قيل فى بعض الروايات، أو على دفعات استغرقت زمناً طويلاً وبواسطة الرعاة الذين قيل إنهم كانوا يرعون أغنامهم على مقربة من الكهف، وهناك فضلاً عن هذين الحادثين أحداث أخرى فرعية، مثل مصاحبة الكلب لهم وهم فى طريقهم إلى الكهف، ثم ذهاب أحدهم إلى السوق لشراء طعام لهم بعد استيقاظهم من النوم واكتشاف أمرهم، واكتشافهم أن الدين الذى كانوا قد فروا من أجله وحتى لا يجبروا على تركه — وهو المسيحية — قد انتشر وأصبح دين الدولة الرسمى .

أما العنصر الخامس: من عناصر هذه القصة وهو الخاص بالمغزى أو الهدف منها، فإنه يظهر فى أمرين: الأول؛ حماية الله للفتية من الحاكم الوثنى بجعله إياهم ينامون فى الكهف مدة بلغت القرنين تقريباً، دون أن يصيبهم أذى، أو يتسرب إلى أجسادهم البلى. والثانى: بعثهم فى وقت تسرب فيه الشك إلى نفوس الناس فى البعث بعد الموت والحشر والنشر مما دفع الإمبرطور ثيودوريوس إلى أن يدعو الله أن يريه آية يؤمن بها الناس بالآخرة .

ومن هذا التحليل لعناصر قصة النيام السبعة يتبين أنه فى الفترة التى فر الفتية فيها إلى الكهف كانت الدولة الرومانية على دين الوثنية، فى حين كان المسيحيون قلة لا حول لها ولا قوة، وكان الحاكم يضطهد المسيحيين وينكل بهم فى قسوة بالغة، ومع ذلك نراه يستدعى الفتية ويسألهم عن دينهم فيقولون له بصراحة وبلا خوف إنهم يعبدون الله الذى خلق السموات والأرض، فيغضب غضباً شديداً ويمهلهم ثلاثة أيام ليرجعوا إلى دين أهلهم وإلا ضرب أعناقهم، فما كان من الفتية إلا أن استغلوا المهلة الممنوحة لهم فهربوا من المدينة صوب الجبال واختبئوا فى الكهف .

ولسنا ندرى لماذا خص ديكوس هؤلاء الفتية بهذه المعاملة الطيبة دون غيرهم، لأنهم — كما جاء فى القصة — كانوا صغار السن فأشفق عليهم من الموت!! أم لأنهم كانوا من الأمراء، كما قيل فى بعض الروايات، فعز عليه أن يقتلهم لتركهم دين آبائهم واعتناقهم المسيحية؟! وإذا افترضنا أنه عاملهم هذه المعاملة الخاصة، لأنهم كانوا صغار السن، فهل كانوا هم وحدهم الذين اعتنقوا المسيحية فى هذه السن المبكرة؟! إن من يقرأ تاريخ المسيحية سيجد أن أفراداً من مختلف الأعمار فى أفسوس وفى غيرها اعتنقوا المسيحية، ومنهم الصبية والشباب والشيوخ والكهول ذكوراً وإناثاً، أحراراً وعبداً وثنيين ويهوداً. ومع ذلك لم نقرأ أن ملكاً ممن اضطهدوا المسيحيين أشفق على بعضهم لصغر سنه أو لكبره، أو لكونه أنثى أو لغير هذا وذاك ليس ذلك وحسب، بل إن وثائق الدولة الرومانية فى هذه الفترة وما كتبه المؤرخون عن الأحداث التى وقعت فيها لم تتضمن أى إشارة إلى أن ديكوس أو غيره التقى بالفتية أو حادثهم أو أمهلهم، على الرغم من أننا نجد فيما كتب عن هذه الفترة الكم الوفير من الأحداث التافهة والعديدة القيمة.

وفى يتعلق بالعقيدة التى كانت سائدة يوم لجأ الفتية إلى الكهف، فإنها كانت عقيدة عبادة الأوثان وهى العقيدة التى كانت عليها الإمبراطورية الرومانية منذ مئات السنين، قبل ميلاد المسيح، وبعد ظهور دعوته وحتى صدور مرسوم التسامح الدينى مع المسيحيين فى عهد قسطنطين عام ٣١٣ ميلادية، فلم تكن الحكومة الرومانية تفرض على أتباع الديانات الأخرى عبادة الإمبراطور، ولكن مجرد إحراق البخور أمام تمثاله باعتبار ذلك دليل الولاء للإمبراطور، وتوكيداً لهذا الولاء، فهو من ناحية أشبه ما يكون بيمين الولاء التى تطلب إلى من ينالون حق المواطنة فى هذه الأيام (٣) ومع ذلك فإن القانون الرومانى كان حتى عهد نيرون يعفى اليهود من أن يعبدوا الإمبراطور، ونال المسيحيون فى أول أمرهم هذه الميزة، لأنهم لم يكن يستطيع التفريق بينهم وبين اليهود، وكانت معارضة الدين الجديد قد جاءت من قِبَل الشعب أكثر مما جاءت من قِبَل الدولة، ذلك أن الحكام كانوا فى كثير من الأحيان رجالاً مثقفين متسامحين، ولكن جمهور السكان الوثنيين قد

(٣) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ٣٧٠.

سأهم عزلة المسيحيين وتعاليم وثقتهم بأنفسهم ، وأهابوا بحكامهم أن يعاقبوا أولئك الملحدون الذين يهينون الآلهة (٤) .

وما حدث فى عهد ديكوس أو ديسوس (٢٤٩ ميلادية) الذى يقال إنه أصدر أمره بإجبار المسيحيين على عبادته، لم يكن كذلك، وإنما الحقيقة كما يروها ديورانت (٥) أن الإمبراطورية كانت منهكة فى حرب عوان، تزعجها الهزائم المنكرة، وتتوقع أن يغزو بلادهم الأعداء وتجتاح الإمبراطورية موجة من النشوة الدينية القوية عام ٢٤٩، ويهرع الرجال والنساء إلى الهياكل يحيطون بالآلهة ويضرعون إليها بالصلاة والدعوات، وفى وسط هذه الحمى التى تتأجج فيها نيران الوطنية والخوف، يقف المسيحيون عن بعد وقفة المشاهدين الذين لا يعنيه الأمر، ويظلون كسابق عهدهم يستنكرون الخدمة العسكرية ويقاومونها، ويسخرون من الآلهة، ويفسرون انهيار الإمبراطورية بأنه هو البشرى التى وردت فى النبوءات عن تدمير «بابل» وعودة المسيح .

وأراد ديسوس أن يتخذ من حال الشعب النفسية فرصة يستعين بها على تقوية روح الحماسة الوطنية والوحدة القومية فأصدر مرسوماً يطلب فيه إلى جميع سكان الإمبراطورية أن يتقدموا إلى آلهة روما بعمل يتقربون به إليها، ويردون به غضبها، ويلوح أن المسيحيين لم يطلب إليهم أن ينكروا دينهم، بل أمروا أن يشتركوا فى التوسل إلى الآلهة التى طالما أنجبت روما من الخطر المحدق بها كما يعتقد العامة، واستجاب كثرة المسيحيين إلى هذا الأمر، ففى الإسكندرية كانت الدعوة عامة على حد قول الأسقف ديونيشيوس، وحدث ذلك بعينه فى قرطاجنة وأزمير، وأكبر الظن أن المسيحيين من أهل تلك المدن وأمثالها كانوا يرون أن هذا التوسل لا يعدو أن يكون نوعاً من الوطنية، ولقد امتد اضطهاد ديكوس للمسيحيين إلى قيصرية أيضاً بفلسطين، فقبض على الفيلسوف أرجن عام ٢٥٠، وكان وقتئذ فى الخامسة والستين من عمره، ومُد على العذراء وقُيد بالأغلال، ووُضع فى عنقه طوق من الحديد، ولم يطلق سراحه إلا بعد موت ديكوس ٢٥١ ميلادية .

وهكذا لانجد فيما كتب عن عهد ديسوس أو ديكوس أى ذكر لتلميخا

(٤) المرجع السابق ص ٣٧٢ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٧٧ .

وزملائه ولا تصريحاً بأن ديكويوس أصدر أمره للمسيحيين أن يعبدوه، وكذلك فإن الإمبراطورية الرومانية فى كل عهودها لم تكن تعبد حكامها وحدهم، وإنما كانت تعبد الآلهة المتعددة، مثل ديانا وارتيس وجوبيتر وغيرها، فلا يصح القول إن أصحاب الكهف رفضوا عبادة الملك، فإنه حتى عام ٢٧٦ ميلادية، كانت روما هى عاصمة الدولة ومقر الحاكم وعليه فإن ديسيوس أو ديكويوس لم يكن يقيم فى أفسوس التى لم تكن فى أى وقت من الأوقات مقر الحاكم، حتى بعد أن انقسمت الامبراطورية الرومانية وأصبحت القسطنطينية أى بيزنطية كما كانت تسمى عاصمة للدولة الشرقية (عام ٣٣٠ ميلادية) كذلك فإن أحداً من سكان أفسوس، غير الأسقف جيمس الساروجى، لم يذكر ما وقع لأصحاب الكهف، على الرغم من أن هذه المدينة كانت من المدن الكبرى العامرة بالسكان والكنائس، بل إنها كانت معقلاً من معاقل المسيحية فى الفترة التى استيقظ فيها الفتية فى الكهف، ومقرّاً لواحدة من الكنائس الخمس الكبرى فى العالم المسيحى فى ذلك الوقت، وفيها من العلماء والمؤرخين ورجال الدين والفلاسفة وغيرهم الكثيرون الذين يستحوذ على اهتمامهم ويثير فضولهم مثل هذا الحدث الفريد، بل المعجزة.

ولقد بلغ من شهرة وذبوع صيت فلاسفة أفسوس أن يوليان الذى تولى الحكم بعد الإمبراطور قسطنطين، كان يتردد على أفسوس ابتداء من عام ٣٥١ ميلادية، ليدرس الفلسفة على فلاسفتها، وذلك قبل أن يصبح إمبراطوراً فى نهاية عام ٣٦١ ميلادية، فلما آل إليه الحكم أعلن ارتداده عن المسيحية إلى الوثنية، وأظهر تأثره الشديد بطقوس اليوسيز وأفسوس الرمزية<sup>(٦)</sup>، وكانت أفسوس مركزاً كبيراً للوثنية، إذ كانت تعبد فيها إلهة القمر التى كانت تسمى ديانا، وكان معبدها الكبير الضخم يعد من عجائب الدنيا فى قديم الزمان، ولذلك وجدت فيها أفكار بولس عن التثليث وموت الإله، ثم بعثه-ترحيباً ورواجاً لمائلتها للأفكار الوثنية، ويذكر أن بولس قضى فى هذه المدينة عامين يبشر بالدين الجديد. ولا يقتصر الأمر على الادعاء بأن الفتية كانوا ينتمون إلى أفسوس، بل إن هناك ادعاء آخر لا يقل عن هذا الادعاء مدعاة للسخرية، وهو أن جثمان السيدة العذراء يرقد داخل أفسوس،

(٦) قصة الحضارة الجزء الأول المجلد الرابع ص ٣٨.

على الرغم مما هو معروف من أن السيدة العذراء لم تغادر فلسطين، وأنها ماتت ودفنت بها، غير أن مسيحيي القرون الأربعة كانوا يجهلون هذه الحقيقة، بل إنهم لم يتصوروا، جرياً على ما زعم بولس عن قيامة المسيح وأنه إله وابن إله—أن أم الإله يمكن أن تموت وتدفن كما يدفن البشر. وقد ساعد على شيوع هذه البدعة مارآه بعض الحجاج إلى بيت المقدس، حيث قصدوا ما قيل لهم إنه ضريح العذراء الذى وجدوه خاوياً، فقالوا إنها هى الأخرى بعثت من الموت وصعدت إلى السماء، وهى القصة التى اعترفت بها الكنائس اليونانية واللاتينية (٧).

ولقد ظلت أفسوس معقلاً للآراء الضالة التى تجعل من المسيح إلهاً وابن إله، ومن أمه إلهة حتى بعد إعدام بولس الذى وضع فى تربتها بذرة الشرك، فالبثت أن نمت وترعرعت، ولقد بلغ نشاط رجال الدين فى أفسوس ذروته فى عهد ثيودوريوس الأصغر الذى قيل عنه إنه هو الملك الصالح الذى استيقظ الفتية فى عهده، ونظراً لطول مدة حكمه، فقد عقدت فى عهده الطويل الذى بلغ اثنين وأربعين عاماً عدد من المجمع الكنسية، وأوها الذى انعقد عام ٤١٨ ميلادية، وحضره الأساقفة، وقرروا فى نهايته أن (بلاجيوس) كافر وضال؛ لأنه قال: «إن الله، فى واقع الأمر، يعيننا على الخير بما ينزله علينا من الشرائع والوصايا، ولكنه لا يرجح كفة خسراننا، بأن يجعل الطبيعة البشرية آئمة بفطرتها، فلم تكن ثمة خطيئة أولى، ولم يكن هناك سقوط للإنسان، ولن يعاقب على الذنب إلا من ارتكبه، ولن ينتقل منه جرم إلى أبنائه» وقد أغضب هذا الكلام الكنيسة فقضت بجرمانه.

كذلك يبدو حماس أهل أفسوس لهذه الأفكار التى روجتها الكنيسة، من موقفهم المعادى لنسطوريوس أسقف القسطنطينية (٤٢٨ ميلادية) الذى قال: إن مريم لم تكن أم الطبيعة الإلهية فى المسيح، بل أم طبيعته البشرية، وإن خيراً من تسميتها بأمر الله أن تسمى أم المسيح، فقد قام سكان أفسوس بمظاهرات صاخبة يعلنون فيها ابتهاجهم بقرار الحرمان الذى أصدره مجمع أفسوس (عام ٤٣١ ميلادية). ويقول ديورانت: «وكانت مظاهرات أحييت بلا ريب ذكريات ديانا — أرتيميس» (٨).

(٧) جيبون، المرجع السابق ج ٢ ص ٥٠٦.

(٨) المرجع السابق ص ١٠١.

ثم عقد الإمبراطور ثيودوريوس مجلساً آخر في أفسوس (عام ٤٤٩ ميلادية) أصدر قراراً بلعن كل من يقول بوجود طبيعتين للمسيح، أى الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، أو كما يقولون الناسوتية واللاهوتية، وقرر أن للمسيح طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية.

وهكذا نلاحظ أن أفسوس سواء قبل أن يستيقظ الفتية أو بعد استيقاظهم، لم تكن تؤمن بالله الواحد، بل العكس هو الصحيح، فقد كانت معقلاً للشرك، تحارب كل صاحب رأى يدعو إلى إعادة النظر فى مبدأ التثليث، أو فى علاقة المسيح بالله، أو فى طبيعة المسيح، أو فى علاقته بأمه مريم العذراء.

أما الملك الذى قيل إنهم استيقظوا فى عهده واسمه ثيودوريوس الثانى أو الأصغر، والذى وصف فى كثير من كتب التفسير الإسلامية بأنه كان ملكاً صالحاً تقياً، بل وصف أيضاً بأنه كان مسلماً، فإننا سنكتفى بما ذكرته كتب التاريخ الغربية عنه لنعرف مدى صحة الأوصاف التى أضفاها المؤرخون والمفسرون المسلمون عليه.

يقول عنه وليم لانجر<sup>(٩)</sup>: «كان حاكماً ضعيفاً خضع لسيطرة أخته بولكيريا Poicheria وقد تولى الحكم فى عام ٤٠٨ خلفاً لأبيه أركاديوس إمبراطور الشرق، وقد ظل حتى وفاته عام ٤٥٠ خاضعاً لأخته التى كانت قد تزوجت ماركيانوس أحد قواد الجيش اللامعين، فلما مات ثيودوسيوس تولى حكم الإمبراطورية، وكان ثيودوسيوس فى السابعة من عمره حين مات أبوه الملك أركاديوس الذى كان قد ترك وصية تقضى بوضع ولى عهده تحت وصاية الملك يزدجرد الفارسى، فتولت أخته بولكيريا الحكم ولم تكن تكبره بأكثر من عامين، وقد ظلت تحكم الإمبراطورية الشرقية قرابة الأربعين عاماً طوال الفترة التى كان فيها أخوها قاصراً، وبعد وفاته، وذلك باسمها وباسم ماركيانوس الذى كان زوجها بالاسم فقط، ويقول (جيبون) عن ثيودوسيوس: إنه كان يهتم بألوان التسلية التافهة والدراسات غير المجدية، وكان الصيد هو النشاط الوحيد الذى يغيره على تجاوز حدود القصر؛ لأنه كان كسولاً قاعد الهمة، وأنه أى ثيودوسيوس عبد فى ورع وخشوع من مات ومن

(٩) موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٣٣٣.

كان حياً من قديسى الكنيسة الكاثوليكية، وحدث مرة أن راهباً وقحاً أصدر ضد ملكه حرماناً كنسياً، فرفض أن يتناول الطعام حتى يتنازل الراهب بشفاء الجرح الروحى الذى أصابه به (١٠).

وإذا كنا لانستطيع أن نحمل ثيودسيوس المسئولية باعتباره ملكاً عن القرار الذى أصدره مجلس الأساقفة الذى انعقد فى أفسوس عام ٤١٨ ميلادية، وقضى فى نهايته بإدانة (بلاجيوس) بتهمة الكفر والزيف والضلال؛ لأن ثيودسيوس كان يومئذ فى التاسعة من عمره لا يمارس أى سلطات حقيقية، فإننا لا يمكن أن نخليه من المسئولية عن القرار الأهم والأخطر الذى أصدره مجمع أفسوس الذى انعقد عام ٤٣١ ميلادية، وأدان فيه نسطوريوس أسقف القسطنطينية، وأصدر قراره الشهر بوحدة طبيعة المسيح الإلهية، أى أنه إله وأن أمه إلهة أيضاً. فقد كان ثيودسيوس يومئذ فى الثلاثين من عمره يتولى سلطاته كاملة، بل إنه خط بيده مرسوماً يضع نسطوراً فى مرتبة الساحر سيمون، ويحظر آراءه ويحرم أتباعه من حماية القانون، ويحكم على كتاباته بالحرق، ويقرر نفيه إلى البطراء فى بلاد العرب، ثم فى نهاية الأمر إلى واحة فى الصحراء الليبية، ليس ذلك فحسب، بل إنه فى عام ٤٤٩ ميلادية، وقبل موت ثيودسيوس بعام واحد، انعقد مجلس آخر فى أفسوس أصدر قراراً بلعن كل من يقول بوجود طبيعتين للمسيح؛ لأن للمسيح طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية، وقد دافع ثيودسيوس دفاعاً حاراً عن قرارات هذا المجمع، وعارض البابا ليو الذى وصف هذا المجمع بأنه مجمع اللصوص.

فهل يمكن بعد هذا أن نصف ثيودسيوس بأنه كان ملكاً صالحاً مسلماً، يؤمن بالله، وأنه دعا الله أن يظهر معجزة ترد الناس إلى الإيمان بالبعث واليوم الآخر!!

### النتائج التى أسفر عنها التحليل

ومن تحليلنا لقصة النيام السبعة يتبين الآتى:

**أولاً:** أنه لم يكن هناك ملك يأمر الناس أن تعبدوه من دون الله، وإنما كان هناك أمر من الإمبراطور الرومانى ديكىوس أو ديسيوس لرعايا الدولة الرومانية أن يتقدموا إلى آلهة روما بعمل يتقربون به إليها، ويردون به غضبها.

(١٠) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها الجزء الثانى ص ٢٤٩.

**ثانياً:** كانت عقيدة الدولة الرومانية هي عقيدة الوثنية، وليس عقيدة عبادة الملك، فهم وثنيون يعبدون آلهة متعددة .

**ثالثاً:** أن ديسيوس أو ديكيوس لم يكن يقيم في أفسوس، وإنما كان مقره — مثل الأباطرة الرومان — في روما، ومن ثم فإنه لا يتصور أن يحضر من روما إلى أفسوس ليقابل فتية لا أهمية لهم ليناقتهم في عقيدتهم ويمهلهم للرجوع إلى دين آبائهم، وكان الأولى به، لو أننا افترضنا أنه حضر خصيصاً من روما إلى أفسوس لمقابلتهم — أن يسافر إلى قيصرية ليقابل فيلسوفاً كبيراً ورجل دين مرموقاً هو أرجن الذي أمر بحجسه وتعذيبه لاعتناقه المسيحية .

**رابعاً:** أن أفسوس لم تكن المكان الملائم لظهور إحدى معجزات الله، فأهلها جبلوا على عبادة الأوثان، وكان اعتناقهم للمسيحية في صورتها المحرفة التي وضع أسسها بولس، فهم يعبدون مع الله إلهين هما المسيح وأمه العذراء، وقد بينا كيف أن سكان أفسوس ثاروا ضد كل صاحب رأى، يرمى إلى إعادة النظر في طبيعة المسيح وأمه .

**خامساً:** أن الملك الذي استيقظوا في عهده لم يكن مسلماً صالحاً، أو حتى مسيحياً سليم العقيدة، بل كان مشركاً، صدرت في عهده قرارات كنسية تقرر الطبيعة الإلهية للمسيح ولأمه التي اعتبرتها هذه القرارات إلهة، كما أن أفسوس لم تكن قد تحولت إلى الإسلام أو حتى العقيدة المسيحية الصحيحة التي تقوم على مبدأ أن المسيح بشر ورسول فحسب، وأن أمه قديسة ليس إلا . ولم تكن شخصية ثيودسيوس التافهة لتسمح لمثله بأن يفكر في البعث أو الحشر والنشر كما قيل .

**سادساً:** أن أثر حادثة الكهف، إذا كانت قد وقعت حقيقة في أفسوس، لم يظهر في أي صورة، بل العكس هو الصحيح، فقد انعقدت المجمع المسيحية وأصدرت قراراتها التي تتهم بالكفر والزيغ والضلال كل من يجرؤ على إبداء رأى في الطبيعة الإلهية للمسيح .

وفضلاً عن هذه الأسباب التي تجعلنا نستبعد أن تكون حادثة الكهف قد وقعت في أفسوس، فإن هناك أسباباً أخرى بعضها مستمد من الطريقة التي ذكرت القصة المسيحية أن الفتية حُبسوا بها في الكهف، والبعض الآخر مستمد

من أوصاف الكهف كما وردت فى القرآن الكريم، ومدى مطابقتها لما قيل إنه قد تم الكشف عنه فى أفسوس من كهف زعم أنه هو الكهف الذى أوى إليه الفتية .

والبعض الثالث مستمد من تاريخ الديانات والنبوات والمعجزات، وما قيل من أن أحداثها جميعاً قد جرت فى منطقة معينة لم تتجاوزها إلى سواها، مما يدخل فيه أفسوس التى زعم أن معجزة الكهف وقعت فيها، ولعل الذى دعانا إلى بحث هذا الموضوع ماورد بكتاب الأستاذ المودودى الذى شرح فيه سورتي الكهف ومريم، حيث قال: «وقد اعترض البعض بأن القصة جرت فى مدينة من مدن آسيا الصغرى، والقرآن لا يبحث فى الوقائع التى وقعت خارج أرض العرب. ومن هنا الإقران بين هذه القصة المسيحية، وبين أصحاب الكهف انحراف عن أسلوب القرآن.»

والذى أراه هو أن هذا الاعتراض غير صحيح، حقيقة أن القرآن قد التزم فى سوق العبر لأهل الجزيرة العربية بالحديث عن أحوال ما كانوا يعرفون من الأقوام والطاقات والقوى، بقطع النظر عن كونهم داخل حدود أراضيهم أم خارجها، وعلى هذا تكلم عن تاريخ مصر القديم مع أن مصر تقع خارج حدود بلاد العرب، فالسؤال إذن هو: إذا كان من الممكن أن يذكر فى القرآن أحوال مصر وأوضاعها، فلم لا يأتى فيه ذكر الروم، وقد كان العرب يعرفون الروم كما يعرفون مصر، وكانت حدود الدولة الرومانية تلتقى بحدود الحجاز الشمالية (١١).

والذى لاشك فيه أن رد الأستاذ المودودى على من قالوا إن القرآن لا يبحث فى الوقائع التى وقعت خارج أرض العرب سليم؛ لأن التسليم بصحة هذا القول يعنى التسليم بأن الإسلام إنما جاء من أجل العرب فقط، فى حين أنه جاء للعالمين:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٢).

(١١) المرجع السابق، صفحة ١٩ - ٢٠.

(١٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

ومن ثم فإن الوقائع التي وردت به إنما جاءت للعرب ولغيرهم ممن هداهم ومن سيدهم الله إلى الإسلام .

إلا أن الأستاذ المودودي، في رده، اهتم بإثبات أن القرآن التزم بسوق العبر لأهل الجزيرة بالحديث عن أحوال ما كانوا يعرفون من الأقوام والطاقات والقوى، بقطع النظر عن كونهم داخل حدود أراضيهم أم خارجها. وهذا الكلام يفهم منه أن القرآن اهتم بالعرب دون غيرهم، وهذا ليس صحيحاً كما ذكرنا، وإلا لكان معناه أن القرآن إنما جاء للعرب دون سواهم .

كذلك يفهم من معارضة المودودي رحمه الله لرأى القائلين بأن القرآن لا يبحث في الوقائع التي وقعت خارج أرض العرب، واستدلالة بما ورد به خاصاً بالمصريين والروم لإثبات العكس، أنه يؤيد الرأي القائل بأن النيام السبعة هم أصحاب الكهف؛ لأنه ليس هناك ما يمنع من أن يبحث القرآن في الوقائع التي وقعت خارج أرض العرب، وهذا ما يختلف معه فيه، ففرق بين إثبات أن القرآن يهتم بكل الوقائع ما كان منها في أرض العرب وما كان منها خارج هذه الأرض، وبين أن تؤكد أن النيام السبعة هم أصحاب الكهف، وأن الكهف الذي أووا إليه يوجد في أفسوس، إلى غير ذلك مما تضمنته القصة المسيحية، فبالإضافة إلى ما ذكرناه من أسباب استخلصناها من دراستنا للظروف التي كانت سائدة في الوقت الذي قيل إن الفتية أووا فيه إلى الكهف، والوقت الذي استيقظوا فيه، نجد أن كل العقائد والنبوات والمعجزات وغيرها مما يتعلق بصلة المخلوق بالخالق، قد جرت في منطقة معينة لم تتعدّها، بحيث يبدو هذا الأمر وكأنه قاعدة مطلقة لم يرد عليها أي استثناء، اللهم إلا ما قيل عن أن معجزة أهل الكهف قد وقعت في أفسوس، وهو ما يشكك فيه بعض المفكرين الغربيين الذين يعتبرون العقائد والأديان نقيصة أو عيباً ينزهون الغرب عنه، ويسجلونه على سكان الشرق بطريقة تنطوي على التهكم والسخرية، ومن هؤلاء (ت.أ. لورنس) الذي أطلق على أهل الشرق لقب «محتكرى الأديان المنزلة» وقال عنهم: «إن صناعتهم الأساسية هي المعتقدات». وهو ما لاحظته أيضاً بعض المهتمين بنشأة الأديان، وهو أن العنصر السامي أي المتكلمين باللغات السامية كالآرامية والعبرية والعربية اعتاد انبثاق الأديان المنزلة كاليهودية والمسيحية والإسلام (١٣).

(١٣) مورو بيرجير، العالم العربى اليوم ٣١.

وعلى ذلك فإن حادثة أهل الكهف، إذا صح ما قيل عن أنها وقعت في أفسوس، تكون أول استثناء على هذه القاعدة.

وعلى الرغم من أننا لسنا من أنصار العنصرية، بحيث نذهب إلى جعل النبوات والمعجزات وفقاً على جنس دون جنس، خاصة وأن ماورد بالقرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (١٤).

يدل على أن الجماعات البشرية على اختلافها، سواء في الغرب أو في الشرق قد ظهر فيها الأنبياء، إلا أننا — في ضوء ما كشفت عنه الدراسة — نستبعد أن يكون ما حدث من هروب الفتية إلى الكهف ونومهم فيه، ثم انبعاثهم بعد ثلاثمائة سنة وتبع قد حدث في أفسوس، وفي الظروف التي ذكرها المفسرون، وفيما يتعلق بالطريقة التي لجأ بها الفتية إلى الكهف، ثم ما قام به الملك من إصدار الأمر بإغلاقه عليهم بواسطة الأحجار الضخمة، قاصداً من ذلك إزهاق أرواحهم بمنع الهواء عنهم فضلاً عن الطعام والشراب، فإنه من الواضح أن الذي روى القصة على هذا الوجه لم يفتن إلى الحكمة الكامنة في الحدث، والطبيعة المتميزة للمعجزة. وهذا يدل على أنه سمع بالقصة كما يسمع الصغار (الحواديت) فلم يعين النظر فيها، ولم يحاول أن يتدبرها بعقله، ولو أنه فعل لأدرك أن هناك فرقاً كبيراً بين الموت والنوم، فإحداث الفتية طبقاً لما ذكره (جيمس الساروجي) هو موت وليس نوماً؛ لأنهم بمنع الهواء عنهم سيختنقون، ومن ثم لا يجوز اعتبارهم نياماً، ولا يجوز أن نسمى قصتهم قصة النيام السبعة. وهذا هو الفرق الجوهرى بين قصة أصحاب الكهف، كما وردت في القرآن، وقصة النيام السبعة، فهؤلاء ماتوا ولم يناموا، في حين أن أولئك، أى أصحاب الكهف، لم يموتوا، وإنما ظلوا أحياء يتنفسون ويتقلبون، يدخل إليهم ضوء الشمس دون حرارتها اللاهية. وهذا هو جوهر المعجزة التي أراد الله بها أن يظهر قدرته للناس في صورة مختلفة عن معجزة إحياء الموتى التي حدثت مع العزيز، ثم بعد ذلك لما أذن الله تعالى لعيسى بن مريم أن يحيى الموتى:

(١٤) سورة فاطر، الآية ٢٤.

﴿ وَأَحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١٥).

ولكن عيسى عليه السلام لم يفعل ما فعله الله تعالى بأصحاب الكهف فى القصة القرآنية إلا إذا أذن له الله، من ناحية، وأطال فى عمره المدة الكافية لبعثهم بعد نومهم الطويل، وقد يقول البعض: وما الفرق بين أن يكونوا قد ماتوا أو ناموا بعد إغلاق الكهف عليهم؟ أليس الأمر سواء، طالما أن الله قد بعثهم أحياء فى هيبتهم التى دخلوا عليها الكهف؟.

وردنا على هؤلاء هو أننا لسنا الذين نصر على أن هناك فرقاً بين الحالتين مجرد العناد والمكابرة، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى أراد أن يكون هناك هذا الفرق، وإلا لما ذكر فى القرآن الكريم حالهم فى الكهف يتقلبون، وهذا يعنى أنهم لم يكونوا ميتين، ووصفه لحال الكهف والكلب باسط ذراعيه على بابه المفتوح والشمس تميل عنه فى شروقها وفى غروبها، فلو أنهم كانوا ميتين لما كان هناك مبرر بأى حال لذكر هذه الأوصاف فى القرآن، ولكنها ذكرت لبيان الاختلاف بين معجزة بعث الموتى كما حدثت للعزيز مثلاً، ومعجزة بعث النيام كما حدثت لأصحاب الكهف، فضلاً عما تضمنته الأوصاف من بيانات علمية على جانب كبير من الأهمية لم يفتن إليها العلماء إلا أخيراً، ومنها اختيار الموقع الأمثل للسكنى، والذى يكفل للمقيمين فيه الحياة الصحية، وأهمية التقلب أثناء النوم الطويل وبالذات فى حالة المرض، حتى لا يتلف الجانب الذى ينام عليه المريض مدة طويلة، وهكذا.

هذا بالإضافة إلى ما لهذه المعجزة من طبيعة خاصة يكشف عنها الوضع الذى كان عليه الفتية أثناء نومهم، فقد كان الكهف مفتوحاً وعلى بابه كلب باسط ذراعيه، وهم بداخله يتقلبون، وهذه بلا شك أحوال مقصودة وليست مجرد أوصاف لما كانوا عليه، وإلا لكان سواء أن يكون الكهف مغلقاً أو مفتوحاً، ولكان سواء أيضاً أن يكون كلهم معهم بداخله أو بعيداً عنهم على بابه، وسواء كذلك أن يتقلبوا أو ألا يتقلبوا، وسواء أيضاً أن يكون مظهرهم سبياً للرب لدى من يقطع نظره عليهم أم لا (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملت منهم

(١٥) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

رعباً) (١٦). فع قدرة الله سبحانه وتعالى على أن يقيمهم أحياء داخل الكهف، ثم يبعثهم من نومهم فى الوقت المحدد، وهو القادر على أن يبعث الموتى وقد استحالوا إلى رفات وعظام، إلا أنه أراد أن يقوا بهيئتهم بداخل الكهف يتقلبون كالنيام، والأيام تمضى والسنوات تنصرم والقرون تتعاقب، وهم على حالهم التى دخلوا بها الكهف، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى أراد ذلك لحكمة، ولم يكن الأمر مجرد وضع فرضته الطبيعة الإنسانية، وحياة البشر التى تحتاج لكى تستمر إلى الضوء والهواء والحركة أثناء النوم، وكلها مما يقدر الله على توفيره لهم حتى ولو كان الكهف مغلقاً بالصورة التى وصفها القصة المسيحية، بل إن الله سبحانه وتعالى لو أراد لبعث غيرهم من قبورهم، أو لأماتهم هم أنفسهم ثم بعثهم.

ثم إننا نسأل -ولنا الحق فى ذلك- كيف علم الناس الذين عاينوا بعث الفتية فى الكهف أنهم كانوا قد ماتوا، ولم يكونوا نائمين شأنهم شأن الأحياء من الناس؟ ألا يحتمل أنهم ماتوا بعد سد الباب عليهم بالحجارة، ثم بعثهم الله ساعة فتحه؟ وإذا قيل: ولكنهم قاموا بهيئتهم التى كانوا عليها دون أن يتأثروا بمضى السنين، سواء من حيث صورتهم، أو من حيث شكل وحالة ثيابهم، فإننا نرد على هذا القول بأن ذلك ليس بمانع من أن يكونوا قد ماتوا، فعوامل البلى لا يحول دونها ودون إحداث آثارها أن يكونوا موتى أو نياماً. ومعنى هذا أن إبقاءهم أحياء وهم نيام فى الكهف هو جوهر المعجزة الذى يجعلها تختلف عن معجزة البعث من الموت، ومن ثم فإن الحكمة تختلف فى الحالىن، وهو ما سوف نوضحه عندما نتناول تفسير قصة أهل الكهف فى الفصل التالى. ولكن الذى يهمنى فى هذا الصدد أن نبين أن تسمية القصة المسيحية بالنيام السبعة يناقض تماماً الوصف الذى ورد بشأن لجوء الفتية إلى الكهف، وصدور الأمر من الملك بإغلاقه عليهم بالحجارة الضخمة.

أما بشأن الكهف نفسه، فإنه بالصورة التى وردت بالقصة المسيحية، ثم بالرجوع إلى ما قيل من أن الكهف الذى لجأ إليه الفتية قد عثر عليه فى ضواحي مدينة أفسوس، يتبين أنه ليس هو الكهف الحقيقى بأى حال، بل ولا أى كهف

(١٦) سورة الكهف، الآية ١٨.

آخر غيره مما يوجد فى هذه المنطقة، فقد تبين من الفحص الذى قام به أحد خبراء الأمم المتحدة ويدعى (شارلس هورتون) لكهف أفسوس الآتى :

- ١ - إن الشمس تدخل من بابه فتطول من بداخله؛ لأنه يقع فى الشمال الشرقى .
- ٢ - إنه لا توجد فجوة بداخله تسمح للفتية بالاختفاء فيه .
- ٣ - إنه لا يوجد لافوقه ولا بالقرب منه المسجد (المعبد) الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم .

٤ - إنه لم يعثر بداخله على أى أثر للمدافن التى دفن فيها الفتية بعد موتهم .

وحتى مع استبعاد ماورد بالقرآن الكريم خاصاً بأوصاف الكهف وموقعه مما لم يرد فى القصة المسيحية والاقتصار على ماورد بهذه القصة بشأن الكهف، فإننا نلاحظ أن تقرير خبير الأمم المتحدة نفى وجود فجوة بداخل الكهف المزعوم تسمح للفتية بالاختباء فيه نياماً، ومعنى هذا أنهم قضوا قرابة القرنين وقوفاً وقد سد الباب عليهم . هذا إذا غضضنا النظر عما ورد فى القصة المسيحية من أن جنود الملك لما طاردوا الفتية فى الكهف عجزوا عن الوصول إليهم، فكيف حدث هذا والكهف ليس به فجوة؟ كذلك فإن خبير الأمم المتحدة لم يعثر، لاهو ولا غيره من عاينوا الكهف المزعوم، على أى أثر لمدافن أو قبور الفتية على الرغم مما ورد بالقصة المسيحية من أنهم عقب التقاء الملك بهم ماتوا، فأمر بدفنهم حيث هم . فإذا كان ذلك صحيحاً فأين دفنوا وليس بالكهف مكان يتسع لدفنهم؟

وإذا كانوا قد دفنوا فعلاً فأين الآثار التى تدل على ذلك، سواء أكانت أجدانهم أم رفاتهم أم حتى القبور التى دفنوا فيها؟

لعلنا بهذا نكون قد بينا بما لا يدع مجالاً للشك أن القصة التى رواها (جيمس الساروجى) ليست هى القصة الحقيقية، وأن ما فيها لا يتجاوز واقعة لجوء عدد من الفتية إلى كهف من الكهوف فراراً بدينهم، أما ما عدا ذلك فقد اختلقه هذا الأسقف، كاسم الملك الذى وقعت حادثة اللجوء إلى الكهف فى عهده، واسم الملك الذى استيقظوا فى عهده، واسم الفتية، وموقع الكهف وكيفية إغلاق الكهف عليهم، وما زعمه من أن ثيودوسيوس كان ملكاً صالحاً دعا الله أن يريه معجزة ترد الناس إلى الإيمان بالبعث، وإلى غير هذا وذاك من الأكاذيب التى أضافها الرجل إلى ماسمعه عن الفتية فى طفولته، فما كان منه عندما بلغ درجة الأسقفية

إلا أن خصص إحدى عظاته لترويج القصة التي نسجها خياله ومضى يرددها، وتلقفها منه أسقف ليون وأمر بترجمتها وترديدها على أسماع المترددين على الكنائس .

ومن يقرأ تاريخ الكنيسة المسيحية الكاثوليكية فى الفترة التى أذاع فيها (جيمس الساروجى) هذه القصة، يلاحظ أنها كانت فى حاجة ماسة إلى مدد جديد يدعم من مكانتها لدى الناس، وتواجه به الشك الذى بدأ يساورهم فى صحة هذه العقيدة التى تكونت من خليط من الأساطير والحقائق التى استعارها مؤسسو الديانة من بلدان وثقافات مختلفة. فوجد (جيمس الساروجى) ومن بعده (جريجورى) أسقف مدينة «تور» فى قصة النيام السبعة، أو أصحاب الكهف ضالتها المنشودة وبادرا: جيمس أولاً بصياغته للقصة صياغة تلائم الأفكار المسيحية، ثم جريجورى بترجمتها ونشرها وإضافتها إلى التراث المسيحى وترويجها.

والواقع أن هذا ليس من قبيل الاستنتاج، وإنما هو تفسير للكيفية التى ظهرت بها القصة فى التراث المسيحى، يتفق تماماً مع المنهج الذى انتهجه آباء الكنيسة منذ بولس الذى وضع أسسها وصاغ مبادئها ورتب أفكارها. فقد انتقلت الطقوس اليونانية إلى طقوس القديس الحفية الرهيبة، وجاءت من مصر الفرعونية آراء الثالوث المقدس، وعبادة أم الطفل، ونظام الأديرة. ومن فرجيا جاءت عبادة الأم العظمى، ومن سوريا أخذت تمثيلية بعث أوتيس. وربما كانت تراقيا هى التى بعثت للمسيحية بطقوس ديونيتس، وموت الإله ونجاته، ومن بلاد فارس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه للأرض ألف عام وعصور الأرض واللهب الأخير الذى سيحرقها وثنائية الشيطان والله والظلمة والنور.

فن عهد الإنجيل الرابع يصبح المسيح نوراً «بضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه» كذلك ومن عبادة ديونيتس وايش ومتراس أخذت المسيحية الطقس الذى يقوم فيه القس بمباركة الخبز والخمر على أساس الاعتقاد بأنها كانا هما لحم المسيح ودمه أو أنها يمثلان لحمه ودمه، وهو ما كان شائعاً لدى عبادة ديونيتس وايش ومتراس الذين كانوا يقيمون المآدب التى يأكلون فيها الأجساد المسحورة لألهتهم، أو رموز هذه الأجساد.

ولقد أدى التشابه بين الطقوس المتراسية والقربان المقدس فى القديس إلى حدِّ

أخرج الآباء المسيحيين فلم يجدوا له تفسيراً أو تبريراً إلا الزعم بأن إبليس هو الذى ابتدعه ليضل به ضعاف العقول (١٧).

كذلك أخذت الكنيسة من روما الوثنية العادات والمراسيم الدينية التى كانت سائدة فيها قبل قيام المسيحية كالبطرشيلى وغيره من ثياب الوثنيين، واستعمال البخور والماء المقدس فى التطهير، وإيقاد الشموع، ووضع ضوء دائم لا ينطفى أمام المذبح، وعبادة القديسين وهندسة الباسلقا، وقوانين روما التى اتخذتها الكنيسة أساساً للقانون الكنسى، ولقب الحبر الأعظم Pontifex Maximus الذى أطلق على كبير الأساقفة، مضافاً إلى اللغة اللاتينية التى أصبحت فى القرن الرابع تؤدى بها الشعائر الكاثوليكية، بل كان أهم من هذا كله نظام الحكم الواسع المماثل لما كان قائماً قبل المسيحية من الجمع بين السلطة الزمنية والدينية فى يد القيصر أو الإمبراطور الوثنى، فبعد عجز السلطة الزمنية أمام مؤامرات الأساقفة والباباوات ومكائدهم لم يلبث هؤلاء، لا الحكام الرومان، أن أصبحوا هم مصدر النظام ومركز القوة والسلطان فى مدائن الإمبراطورية (١٨).

فإذا كان هذا هو أسلوب رجال الكنيسة منذ البداية، وهذا هو منطقهم، فما الذى جد فى القرن الخامس حتى يمنعهم من اللجوء إلى نفس الطريقة لدعم العقيدة التى تعرضت للضعف والاهتزاز، فيستعير أحدهم أو بالأحرى أحد كبرائهم، قصة حدثت فى مكان آخر لم يكذب يسمع بها أحد إلا عدد قليل من الناس الذين يقيمون فى صحراء لا يكاد يطؤها أحد فيزعم أنها حدثت فى «أفسوس» حيث مقر إحدى أكبر خمس كنائس فى العالم المسيحى، وحيث نشب الخلاف بين الناس حول أمور خطيرة تعد من المبادئ الأساسية التى قامت عليها الكنيسة.

ويمكن القول إن انتحال «جيمس الساروجى» بتشجيع من جريجورى أسقف كنيسة تور لمعجزة أهل الكهف، إنما كان بدافع من الرغبة الدفينة لدى الآريين فى مناوأة الساميين ومنافستهم فى ميدان، ظل لحقبة طويلة من التاريخ، حكراً عليهم، هو ميدان النبوات والديانات والمعجزات فأرادوا من ناحية، أن يكون لهم

(١٧) ول ديورانت المرجع السابق، صفحة ٢٧٥.

(١٨) المرجع السابق، صفحة ٣١٩.

نصيب فيه ، ومن ناحية ثانية أن يدعموا عقيدتهم التثليثية بالادعاء أن فتية من الرومان يعتقدون المسيحية التثليثية كانوا موضوعاً لمعجزة عظيمة ، حيث فروا بعقيدتهم هذه من حاكم وثنى إلى الكهف ، فناموا فيه لمدة طويلة ، ثم بعثوا من نومهم ليجدوا أن عقيدة التثليث قد انتصرت ، وأن الصليب المظفر يعلو أبواب المدينة ومبانيها .

ولم تكن تلك هى المحاولة الأولى التى يقوم بها رجال الدين المسيحيون لدعم المسيحية ، بل سبقتها محاولات كثيرة جرت على امتداد القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، استهدفت دعم المسيحية بما كانوا يسمونه « الآثار المقدسة » والمعجزات ، وكان « أمبروز » أو كما يسمونه « القديس أمبروز » المتوفى سنة ٣٩٧ ميلادية ، فى صراعه من أجل هزيمة المذهب الأريوسى الذى لقى ترحيباً من كثيرين من الناس ، هو أول من نعى بطريقة منظمة حركة جمع الآثار المقدسة ، وكانت مدينة ميلانو فقيرة من هذه الناحية فلم يكن لها شهداء يحفظونها من المخاطر والكوارث ، فى حين أن روما كان يوجد بها الثنائى الذى لا يقهر ، على حد اعتقاد بعض المسيحيين وهما القديس بطرس والقديس بولس — فى حين أن القسطنطينية كان بها القديسون « اندراوس » و« لوقا » و« تيموثى » ، وخلال خمسين أو ستين سنة أجريت اكتشافات مدهشة فى أورشليم منها ما انتهى إلى الكشف عن جسد القديس أسطفانوس ، ورأس يوحنا المعمدان ، وكرسى القديس جيمس ، وسلسلة القديس بولس ، والعمود الذى استخدم فى جلد المسيح ، ومنذ سنة ٣٢٦ اكتشف الصليب الذى صلب عليه المسيح ، بل الأكثر من هذا أنهم ادعوا العثور على أظافر المسيح .

وخلال العقود الأخيرة من القرن الرابع كانت هناك موجة من الاكتشافات والتزوير ، والسرقاات والاتجار فيما يسمى كنوز الكنيسة أو الكنوز المقدسة ، وقد بذل الوثنيون ما فى وسعهم للحد من هذه الجرائم التى كانت ترتكب باسم الدين ، وأعلن الكاتب « فوتيوس » إدانته للمسيحيين لقيامهم ببساطة شديدة بإحلال « الشهداء » محل أصنام الوثنية وإحيائهم لفكرة المعجزات تحت اسم آخر (١١) . كما أن كتاباً مسيحيين آخرين عبروا عن قلقهم مما كان يحدث ، مثل الكاهن

«فيجيلنتوس Vigilontius» الذى اعترض على مزاعم الكنيسة بشأن المعجزات واستغلالها للآثار المقدسة لإغراء العامة بالتردد على الكنائس، وتشجيعهم على تقبيل تلك الآثار، كذلك فقد أقدم كثير من الرهبان على سرقة مخلفات القديسين وبيعها، وكثر نهب القبور وسرقة ما فيها من أجساد، مع ما قد يوجد معها من أشياء ثمينة وبيعها للناس على أنها آثار قديسين، مما دفع الإمبراطور ثيودوسيوس إلى إصدار أوامره التى تقضى بتحريم نقل أجساد الموتى من مكان إلى مكان، وتحريم بيع الآثار المقدسة، وآثار الشهداء أو نقلها.

والغريب فى الأمر حقاً أنه فى عهد «ثيودوسيوس» صدر قرار بإباحة إقامة الكنائس على قبور القديسين، فكان ذلك بمثابة الأساس الذى قامت عليه نظرياً وعلمياً عبادة الآثار المقدسة، وكان العالم فى حالة فزع من الشياطين، فأصبح على يدي «أمبروز» مرتبطاً بأهة الوثنيين وبشياطين الهراطقة وبالعظام وغيرها من آثار القديسين التى ساد الاعتقاد بأنها تحمى من الشياطين، وأصبحت أى كنيسة تستحوذ على شىء من تلك الآثار تستأثر بالحماية، وينال كاهنها الاهتمام والحظوة، ويصبح له مكانة هامة وكلمة مسموعة فضلاً عما يحصل عليه من مال من رعايا الكنيسة، وبالرغم من كل هذه المساوىء فإن «أمبروز» ظل يشجع نظام «الآثار المقدسة» وادعى اكتشافه للهيكل العظمى للقديسين «جرفاسيوس»

. Protasius وبروتاسيوس Gervasius

وبعد موت «أمبروز» ظهر أسقف آخر لا يقل عنه حماساً للاختلاق والتزوير هو «جريجورى» أسقف مدينة «تور» بفرنسا، الذى وجد ضالته فى «جيمس الساروجى» أسقف «ساروج» الذى زور قصة النيام السبعة، وادعى ما ادعاه بشأنها، فقد بادر «جريجورى» إلى ترجمة القصة إلى اللاتينية وأذاعها فى أوربا، وكان له فضلاً عن ذلك محاولات أخرى أراد أن يبارى فيها سلفه «أمبروز» حيث ادعى أنه أثناء قيامه بمراسم القداس سقطت كتلة من سقف الكنيسة على رعوس، أو بالأحرى، هاجم بعض الشهداء التى كانت بالكنيسة فكشطتها فإذا بالدم يتدفق منها! وغير هذا الكثير مما افتراه «أمبروز» و«جريجورى» وغيرهما من أساقفة الكنيسة، وادعوا أنه من المسيحية فى حين أنه محض أكاذيب وأضاليل. وكان «أمبروز» يبرر أكاذيبه بأنها تزيد من ارتباط الناس بالكنيسة،

وتدعم اقتناعهم بالعقيدة وتذكرهم بالآخرة، وتجعلهم يخافون من العقاب الذى سينزل بهم يوم الحساب، كما أن هذه الأكاذيب تشجعهم على التضحية من أجل الكنيسة، ولعلنا لانكون نسينا أكاذيب وافتراءات «الباب إيربان الثانى» فى أواخر القرن الحادى عشر وكيف أدت إلى الحروب الصليبية، التى أزهدت أرواح مئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال من المسلمين لالشيء إلا مجرد إشباع نهمه ونهم أعوانه من رجال الكهنوت إلى السلطة والثروة، وإشباع رغبتهم فى القضاء على الإسلام والمسلمين.

ومن المعلوم أن المسيحية - كعقيدة - قامت على فكرة البعث والحساب فقط، ولذلك فإن الإنجيل لم يتضمن شيئاً خلاف المبادئ والأقوال التى تدعم هذه الفكرة وتثبيتها فى الأذهان، أما ما قيل إنه ورد على لسان المسيح من أقوال تضمنتها الأناجيل المختلفة، فإن ما بينها من تناقض واضح يدل بذاته على اختلاقها ونسبتها زوراً إلى المسيح، وهو ما كشف عنه «هردر» فى دراسته للأناجيل ودفعه إلى القول إن: «ما بين مسيح متى، ومرقص، ولوقا ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها» (٢٠).

وكان بولس واضع أساس اللاهوت المسيحى قد نسب إلى المسيح أقوالاً لا أساس لها من الصحة، يزعم بها أنه، أى المسيح (الإله) سوف يبعث مرة أخرى لينقذ العالم مما انحدر إليه، ويرجح كفة المؤمنين على الكفار، وهى مقولة صحيحة فى نصفها الأول كاذبة فى نصفها الثانى، أو بمعنى أدق فيما عناه بولس بكلمة «المؤمنين» فهم بدون شك ليسوا من يعبدون الثالوث، وزعم بولس أن نزول الرب (يقصد عيسى) سيكون قريباً جداً وعلى وجه التحديد فى حياة بولس نفسه، فلما طال انتظار الناس لهذا البعث دون جدوى، بدا إيمانهم بالفكرة ذاتها يتزعزع ويضعف، حتى وصل بهم الأمر إلى الشك فى البعث، وكان بولس قد كتب إلى أهل «فيلبي» قائلاً: «نتنظر مُخلصاً هو الرب يسوع المسيح.. الرب قريب» فلما تأخر مجيء الرب، على حد قوله، وبدأ الناس يهملون شئون العالم انتظاراً لرب مجيء المسيح، حاول بولس أن يوفق بين عقيدته الأولى وبين تأخر مجيء المسيح للمرة الثانية، وأخذ يضع أمله فى أن يراه بعد أن يموت.

(٢٠) ول ديورانت المرجع السابق صفحة ٢٠٣.

واستمر خلفاء بولس فى ترديد كلامه بشأن عودة الرب يسوع المسيح إلى الأرض، والقول بأنه قريب فلما أن بدأ هذا الأمل يضمحل، أخذت مطالب الجسد تقوى مرة أخرى، وضعفت الأخلاق المسيحية، وشاهد ذلك أن رسالة لا يعرف كاتبها تسمى راعى هرماس (حوالى عام ١١٠) تندد بعودة البخل والخيانة وأصباغ الشفاه، وصبغ الشعر، وتلوين الجفون، والسكر، والزنى بين المسيحيين (٢١).

وكانت ردود الفعل تختلف فى كل مرة يردد فيها الأساقفة ادعاء بولس بعودة المسيح الرب يسوع، فتارة يكون رد الفعل الزهد والتقشف وإهمال شئون العالم، وتارة يكون رد الفعل هو الإغراق فى الفساد وشيوع الرذائل. ومع ذلك استمر الأساقفة فى ترديد الادعاء بعودة الرب يسوع المسيح، فسار أحدهم وهو أسقف سورى على رأس أتباعه إلى الصحراء ليلتقى بالمسيح فى منتصف الطريق، وفى بنتس، أسد أسقف آخر نظام أتباعه بأن أعلن أن المسيح سيعود فى خلال عام واحد، ولما لم تصدق كل هذه العلامات، ولم يعد المسيح، رأى عقلاء المسيحية أن يخففوا من وقع هذه الخيبة بتفسير موعد عودته تفسيراً جديداً، فقيل فى رسالة معزوة إلى برنابا: إنه سيعود فى خلال ألف عام ويقول ول ديورانت (٢٢): «وملاك القول أن الاعتقاد بعودة المسيح الثانية هى التى أقامت صرح المسيحية، وأن الأمل فى الدار الآخرة هو الذى أبقى عليها».

وقد تضاعفت خيبة أمل المسيحيين فى البعث وعودة المسيح فى عام ١٥٦، عندما قام رجل يدعى مونتانس Montanus تنبأ بأن ملكوت السموات قد دنت ساعتها، وأن أورشليم الجديدة التى يقول بها سفر الرؤيا ستنزى من السماء على سهل قريب بعد زمن قليل، ثم سار بنفسه إلى هذه الأرض الموعودة على رأس حشد من الناس بلغ من الكثرة درجة خلت معها بعض المدن من سكانها، وحدث فى هذا الوقت ما حدث فى بداية عهد المسيحية، فامتنع الناس عن الزواج وعن التناسل، وجعلوا متاعهم ملكاً مشاعاً بينهم وعمدوا إلى التقشف والزهد استعداداً لمجيء المسيح (٢٣).

(٢١) المرجع السابق صفحة ٢٨٢.

(٢٢) المرجع السابق السابق ص ٢٩١.

(٢٣) المرجع السابق ص ٢٩٤.

وفضلاً عن مشكلة عودة الرب يسوع المسيح، وما أسفرت عنه من نتائج خطيرة، فإن الأيام ما لبثت أن حملت إلى الكنيسة عدداً آخر من المشكلات، منها ما هو ناشئ عن الاختلاف في تفسير طبيعة المسيح، وهل هي طبيعة لاهوتية أم طبيعة ناسوتية أم مزيج من الاثنين، وتفرق المسيحيون شيعاً كثيرة، حتى أصبح همُّ كل فرد منهم أن يكون لنفسه حزباً «واستطاع إيرينيوس أن يحصى في عام ١٨٧ عشرين شعبة مختلفة من المسيحيين، وأحصى إيفانيوس في عام ٣٨٤ ثمانين شعبة، وكانت الأفكار الأجنبية تتسرب إلى العقيدة المسيحية في كل نقطة من نقاطها، وأخذ المؤمنون المسيحيون ينضمون إلى هذه الشيع الجديدة».

وفي تطور لاحق انتقلت الخلافات بين الشيع والكنائس المختلفة إلى الجامع الكنسية، التي لم تسفر المناقشات التي دارت فيها إلا عن مزيد من الخلاف حول طبيعة المسيح ونزوله وغير ذلك، ووقف إثناسيوس ضد آريوس (مجمع نيقية ٣٢٥) وبعد طرد آريوس أعيد إلى كرسيه، وصدر القرار بخلع إثناسيوس الذي مالبت أنصاره أن دسوا السم لآريوس فمات لساعته، وبعد عودة إثناسيوس إلى كرسي الإسكندرية طرد منه للمرة الثانية بعد موت الإمبراطور قسطنطين، واعتناق ابنته وخليفته قسطنطيوس الأريوسية التي تذهب إلى القول بتشابه المسيح والآب دون اتحادها في المادة، ولكن إثناسيوس ظل يقاوم هذا الرأي حتى عادت عقيدة التثليث من جديد.

غير أن الآراء المعارضة للتثليث لم تنفك تظهر بين الحين والحين، بل ذهب بعضها إلى حد إنكار أن للمسيح طبيعة غير طبيعته البشرية، وهو ما رددته شعبة اليهودوتية التي لم تكن ترى في المسيح أكثر من إنسان (٢٤).

وفي القرن الخامس الذي استيقظ فيه أهل الكهف ثار الخلاف من جديد حول طبيعة المسيح، فقد خرج على الناس المدعو أوتيكيوس Eutyches وهو رئيس دير قريب من القسطنطينية، بادعاء يقول فيه: إن المسيح ليست له طبيعتان بشرية وإلهية، بل إن له طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية، وأيده فيما قاله ديوسكوراس أسقف الإسكندرية، في حين أنكرها فلافيان بطريق القسطنطينية، الذي عقد مجمعاً محلياً مقدساً أنكر هذه البدعة، وحرّم أوتيكيوس من الكنيسة المسيحية،

(٢٤) المرجع السابق ص ٢٩٤.

ولكن بطريق الإسكندرية أفتح الإمبراطور ثيودوسيوس الذى يقال إن أهل الكهف استيقظوا فى عهده، وإنه الملك الصالح الذى ذهب بنفسه إليهم فى كهفهم فى أفسوس والذى كان، طبقاً لما جاء فى الروايات المختلفة التى رويت عن أهل الكهف، أنه لما رأى ضعف إيمان الناس بالبعث دعا الله أن يأتى بمعجزة تعيد إليهم هذا الإيمان، فاستجاب له لصالحه وورعه وحدثت المعجزة. هذا الإمبراطور الصالح عقد مجمعاً كنسياً فى أفسوس عام ٤٤٩؛ أصدر قراره ببراءة أوتيكييس و بإعلان أن اللعنة على كل من يقول بوجود طبيعتين للمسيح، وإنما هى طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية فأى إله هو الذى صلى له ثيودوسيوس الصالح وطلب منه المعجزة: أهو الرب يسوع أم الله الواحد الأحد؟

والغريب فى الأمر أن بابا روما ليوالأول ارتاع لهذا القرار، وأطلق على المجلس الذى أصدره اسم «مجمع اللصوص» وأبى أن يوافق على قراراته، ثم عقد مجلساً آخر فى خليقدون Chalcedoon عام ٤٥١؛ أيد قرارات البابا وأعلن سخطه على أوتيكييس، وأيد من جديد ازدواج طبيعة المسيح (٢٥) ليس ذلك وحسب، بل إن الإمبراطور ثيودوسيوس لم يكتف بإعلان إيمانه بفكرة الطبيعة الواحدة للمسيح، وهى الطبيعة الإلهية، بل أضاف إلى ذلك إيمانه بأن السيدة العذراء هى أم الطبيعة الإلهية فى المسيح، وأصدر قراره بنفى أسقف القسطنطينية المدعو نسطوريوس؛ لأنه كان يقول إن مريم لم تكن أم الطبيعة الإلهية فى المسيح، بل أم طبيعته البشرية، وإن خيراً من تسميتها بأُم الله أن تسمى أم المسيح. وهكذا جعل ثيودوسيوس الصالح مع الله إلهين المسيح وأمه (٢٦).

كذلك يلاحظ من يقرأ قصة النيام السبعة أن (جيمس الساروجى) الذى لم يشاهد دخول الفتية الكهف ولا استيقاظهم فيه، زعم أن الفتية هربوا إلى الكهف فى عهد القيصر (ديكيوس) أو ديسيوس الذى تعدد أن يشوه سمعته ويسب إليه، مدعياً أنه فرض على المسيحيين أن يعبدوه ويسجدوا لتمثاله، كما ادعى أنهم استيقظوا فى عهد ثيودوسيوس الأصغر، الذى وصفه بأنه صالح وتقى؛ لأنه كان ألحوبة فى أيدي الأساقفة، يضع خاتمه على كل ما يصدر عن مجامعهم

(٢٥) ديورانت، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص ١٠٢.

(٢٦) المرجع السابق ص ١٠١.

من قرارات، حتى ولو كانت تدعى كذباً أن المسيح إله وأمه إلهة أيضاً، وهكذا دأب هؤلاء الناس دائماً على تشويه صورة من لا يسايرهم فيما يذهبون إليه، ويحسبون ويحملون صور من يسايرهم ولو كان ما ذهبوا إليه كذباً وافتراء على الله.

كذلك يوجد دليل آخر على أن قصة النيام السبعة ليست صحيحة بل مزورة، وهو الدليل المستمد مما أجمع عليه المؤرخون والباحثون الذين كتبوا عنها، فقد أجمعوا على أنها كانت قد كتبت بالسريرية لغة سكان الشام قديماً، ثم ترجمت إلى اللاتينية بفضل عناية جريجورى أسقف مدينة (تور) بفرنسا وهو أمر غريب حقاً؛ ذلك لأن الحادثة وقعت في مدينة رومانية كبيرة هي (أفسوس) وأبطالها من سكان هذه المدينة، أى من الروم الذين حضر الإمبراطور (ثيودوسيوس) بنفسه ومعه الوزراء وكبار رجال دولته إليهم فى الكهف، وتكلم معهم وسمع قصتهم العجيبة، ولاشك أنه تكلم معهم باللاتينية أو باليونانية، فكيف لم تكتب القصة بهذه اللغة أو بتلك وكتبت بالسريرية التى هى لغة شعب يستعمر اليونانيون بلاده؟

إن هذا الذى حدث يشبه أن تكون حادثة هامة وقعت فى (يوركاشير) بإنجلترا فى بداية هذا القرن، فقام بعض الإنجليز بكتابتها باللغة العربية لالشىء إلا لأن بلادهم تحتل مصر، فهل هذا معقول؟ ومع ذلك فإن المستشرقين، على الرغم مما يتظاهرون به من ذكاء وفطنة وبعد نظر، يقبلون ببساطة تبلغ درجة السذاجة أن يحدث ذلك بالنسبة لقصة النيام السبعة، وبطبيعة الحال فإن ما فعله هؤلاء الناس من تغاضيم عما فى القصة المزورة من تناقضات وأخطاء لا يفعلون مثله مع الموضوعات الإسلامية، حتى ولو كانت صحيحة، فهم يشحذون أفكارهم ويستنفرون ذكاءهم من أجل أن يستخلصوا منها أخطاء، ويفتعلوا لها مثالب ويلصقون بها عيوباً غير عابئين بحكم التاريخ على سلوكهم هذا، فكل ما يهمهم هو أن يسيئوا إلى الإسلام وأن يشوهوا صورته.

وما يدعو إلى السخرية حقاً أن يلصقوا بالإسلام تهمة انتحال هذه القصة من المصادر المسيحية، فى حين أنهم هم الذين انتحلوها من مصدرها الأصلي وزوروا وأضافوا إليها تفاصيل ليست منها لالشىء إلا لاستغلالها فى الترويج لأفكارهم الضالة وتزيين مبادئهم التثليثية المشتركة فى نظر الناس السذج. فهذا هو

(ادوارد جيون) المؤرخ الإنجليزي يقول مفسراً وجود قصة أهل الكهف في القرآن الكريم: «لابد أن النبي محمداً قد سمعها عندما ذهب بقوافله إلى أسواق سوريا» وهكذا دأب الغالبية العظمى من علماء الغرب الذين يتعرضون للإسلام بالدراسة والبحث، فهم يصدرون أحكامهم عليه بطريقة تنطوي على الكثير من التعسف، إن لم يكن الافتراء الذي لا يستند إلى أساس، حتى ولو كان واهياً.

ولكن مما لاشك فيه أن «جيون» قد كشف بالرغم عنه عن الكيفية التي انتقلت بها أحداث القصة من مكانها الأصلي إلى «أفسوس» على يدي «جيمس الساروجي» الذي سمع عن القصة من آخرين فذكرها في عظاته على أنها حدثت في «أفسوس»، وماقاله «جيون» يسمى في علم النفس «إسقاطاً» يقوم فيه الشخص بإسناد واقعة معينة إلى غير أصحابها، سواء أكانت الواقعة تخصه هو شخصياً أم تخص جماعته، التي ينتمى إليها، وفي جميع الأحوال فإن الواقعة التي تتناولها عملية الإسقاط تكون من النوع الذي لا يشرف، كالكذب والسرقة وسوء السلوك وغير ذلك، ولما أن كان «جيون» ملحداً لا يؤمن بالله، وبالتالي لا يهجمه أن يدافع عن المسيحية أو أن يهاجم الإسلام، لأن الأديان — في اعتقاده — تتساوى من حيث ترويجها لأفكار لا يؤمن بها هم، فإن عملية الإسقاط لا تنسب إليه لأنه مجرد ناقل للأحداث من مصادر قديمة، ومردد لآراء صدرت عن غيره، وبالتالي فإن الإسقاط ينسب إلى أولئك الذين نقل عنهم وردد آراءهم.

وكان بمقدور «جيون» الذي كان في كثير مما ذكره عن الإسلام، أقرب إلى الإنصاف من كثير من المؤرخين الغربيين، وبخاصة المتعصبون منهم الذين ضربوا عرض الحائط بالحقائق الثابتة، وزيفوا وزوروا بلا وازع من ضمير أو خوف من حكم التاريخ عليهم، كان بمقدوره أن يكتشف ببساطة شديدة أن ما زعمه من أن الرسول ﷺ قد سمع قصة أهل الكهف عندما ذهب بقوافله إلى أسواق سوريا، ليس صحيحاً من ناحية، ويتضمن بذاته دليلاً على أن القصة لم تحدث في (أفسوس) كما زعم «جيمس الساروجي» من ناحية أخرى، أما من حيث عدم صحة ما قيل من أن الرسول ﷺ كان قد سمع بالقصة عند ترده على أسواق سوريا ثم إضافته إياها بعد ذلك إلى القرآن الكريم، فإن الرسول لم يذهب

إلى سوريا غير مرتين كان فيها صغيراً دون الثانية عشرة، ليس لديه فكرة لا من قريب ولا من بعيد عما سوف يصير إليه عندما يبلغ الأربعين، وبيعته الله رسولاً للبشرية، ولا نتصور أن القصة بصورتها الدقيقة بل البالغة الدقة التي أوردتها بها القرآن يمكن أن تكون مجرد ذكريات قديمة اخترنتها ذاكرة الطفل، أو حتى صبي صغير لمدة تزيد على الثلاثين عاماً. ومع ذلك فإنها لما أفرزتها بعد أن أصبح رسولاً إذ بها تأتي متسقة تخلو من التناقض الذي يعيب قصة النيام السبعة التي يزعم «جيمس الساروجي» أنها القصة الحقيقية، فكيف تسنى لمحمد ﷺ أن يخلص القصة (الحقيقية) على حد زعمهم من التناقض، ويعيد إليها اتساقها، اللهم إلا إذا كان مقاله هو الحق الذي جاء به من ربه.

أما من حيث إن مقاله «جيبون» من أن الرسول ﷺ سمع بالقصة في سوريا، على الرغم من أنها وقعت في (أفسوس) بآسيا الوسطى، فعنى ذلك أنها كانت شائعة في سوريا في صورة تختلف عن الصورة التي ترسمها قصة النيام السبعة التي تنسب إلى «جيمس الساروجي» والتي إذا ما قارنا بينها وبين الصورة السورية، التي ينبغي أن تكون طبقاً لما زعمه «جيبون» هي التي ذكرها القرآن، فسوف يتبين لنا أي الصورتين هي الصحيحة والدقيقة والمتسقة، وأيتها الكاذبة والمشوشة والمضطربة والمتناقضة، مما يدل — مع افتراضنا جلدأ صحة ما زعم من أن الرسول ﷺ كان قد سمعها عند زيارته لسوريا — على أن قصة «جيمس الساروجي» قد انتحلت وزورت من أجل أن تخدم أغراض الكنيسة الكاثوليكية.

فإذا لم تكن معجزة أصحاب الكهف قد حدثت في (أفسوس) ولم يكن من أبطالها ملكان أحدهما يدعى (ديكيوس) والآخر يدعى (ثيودوسيوس) الثاني أو الأصغر، وإذا لم يكن مارواه (ديونيس) في كتابه المزعوم، ومقاله «جيمس الساروجي» في عظاته الكاذبة عن النيام السبعة صحيحاً، فما هي القصة الحقيقية؟ قصة أصحاب الكهف كما حدثت فعلاً، وليس كما زورها أساتذة التزوير الذين زوروا المسيحية الحقيقية، وجعلوا من المسيح إلهاً ومن الإله الواحد ثلاثة. هذا ما سوف نبينه في الفصول التالية.